



رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

الغزو الثقافي والهزيمة النفسية

إعداد

الدكتور محمد إبراهيم الشرييني صقر

الأستاذ بكلية بهنج الإسلامية - ماليزيا

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر
الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة

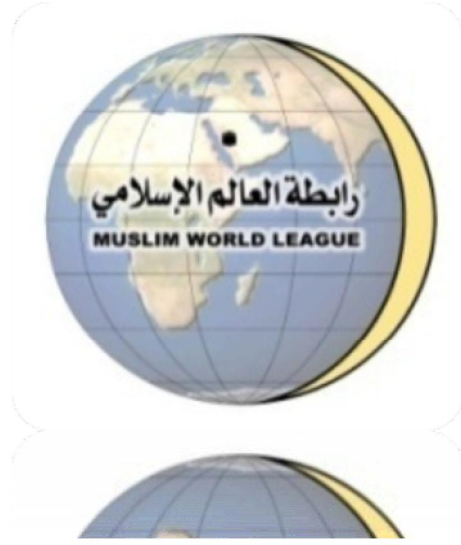
الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤-٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ

٢٨-٣٠ / سبتمبر / ٢٠١٤ م



رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ - الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تليكس: ٥٤٠٠٠٩ و ٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المجاهدين محمد ﷺ، ورضي الله عن الصحابة الأبطال الأبرار، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فمنذ أن بزغ نور الإسلام على البشرية، وعمت تعاليمه أرجاء المعمورة؛ وأعداء الإسلام يملؤهم الغيظ والحقد على هذا الدين، يحاولون أن يطفئوا نوره؛ ولكن الله تعالى تكفل بإتمام هذا النور وحفظه؛ يقول تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

والإسلام بعدله وقيمه الشاملة: لا يطيقه المفسدون، ولا يحبه الظالمون، من أجل ذلك يعملون على محاربتة والنيل منه، ويسعون في الأرض يحيكون المؤامرات ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، من أجل القضاء على هذا الدين العظيم، فتوالت هجماتهم العسكرية على الإسلام وأهله، ولكن المسلمين ما ضعفوا وما استكانوا، ولم تزدهم هذه الهجمات إلا عزمًا على النصر أو الشهادة في سبيل الفداء لهذا الدين القويم.

فكّر أعداء الإسلام في وسائل أخرى لتدميره، فلجؤوا للقضاء على القلوب والعقول، فصوّبوا سهامهم ناحيتها، ووضعوا الخطط لغزوها، وأنفقوا الأموال الطائلة لمسخها، وتنوعت أساليبهم في خدمة هذا الهدف الخبيث، فسخرّوا الإعلام والدعاية لهزيمة المسلمين نفسيًا، وإضعاف قوتهم وإطفاء عزتهم

وتذويب شخصيتهم؛ فنشأ بسبب ذلك جيلٌ من المسلمين ضعيفاً ذليلاً بعد أن كان قوياً عزيزاً، يحب الدنيا ويكره الجهاد، وهذا المرض الذي أصاب المسلمين؛ حذرنا منه رسول الله ﷺ فقال: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ»^(١) كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(٢).

فهذا هو حالنا اليوم، ولكن يجب علينا أن نستيقظ من سُباتنا، وننهض لنصرة الإسلام، لأن الله سائلنا عن هذه الأمانة يوم القيامة.

لابد من مواجهة هذا الغزو الخبيث المدمر، وكشف خططه والتحذير منها، ووصف العلاج ليسترد المسلم هويته وانتماءه وعزته، وهذا يتأتى -بعد فضل الله وتوفيقه- بتكاتف الأمة الإسلامية ووحدها؛ وجهود أبنائها؛ ومن هنا كان من واجبي أن أسهم في هذه المعالجة بهذه الكلمات المتواضعة.

والله أسأل أن تكون في ميزان حسناتي يوم القيامة.

تشتمل خطة البحث على مقدمة، وثلاثة مطالب وخاتمة، وفهرست المراجع والمصادر.

(١) الغثاء: ما يحمله السيل من زَبَدٍ ووسخ.

(٢) سنن أبي داود، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ٤/ ١٨٤ وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦١٠): صحيح، وهو في المشكاة (٥٣٦٩)، وصحيح الجامع: ٨١٨٣.

فالمطلب الأول بعنوان: مفهوم الغزو الثقافي والهزيمة النفسية.

ويشتمل على: أولاً: مفهوم الغزو الثقافي.

ثانياً: مفهوم الهزيمة النفسية.

المطلب الثاني: وسائل الغزو الثقافي وبث روح الهزيمة.

ويشتمل على: أولاً: الإعلام والدعاية

ثانياً: القضاء على الإسلام والتشكيك في قيمه.

ثالثاً: تدمير أخلاق المسلمين وقيمتهم.

رابعاً: تزويد المسلمين في الكيان الأممي والعالمي.

خامساً: التغريب.

المطلب الثالث: علاج الهزيمة النفسية

ويشتمل على: أولاً: تنمية الجانب الإيماني والأخلاقي.

ثانياً: إحياء روح الجهاد.

ثالثاً: التحرر من التبعية.

رابعاً: تأصيل القيم الأساس بعد كشفها.

خامساً: وضع منهج متكامل للتربية الإسلامية.

ثم الخاتمة وتشتمل على: النتائج والتوصيات.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلّى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم.

المطلب الأول

مفهوم الغزو الثقافي والهزيمة النصيية

أولاً: مفهوم الغزو الثقافي

١ - الغزو: في اللغة العربية له عدة مدلولات؛ منها: القصد، تقول: (غَزَوْتُ العَدُوَّ) أي: قَصَدْتُهُ لِلْقِتَالِ^(١).

وتأتي الكلمة أيضاً بمعنى الإرادة فيقال: عرفتُ ما يُغزَى من هذا الكلام، أي ما يُراد^(٢)، وتأتي بمعنى الطلب، يقال: غَزَا الشَّيْءَ غَزَوْاً: أَرَادَهُ وَطَلَّبَهُ، والغَزْوَةُ ما غَزِيَ وَطَلِبَ^(٣).

٢ - الثقافي:

من مدلولاتها في اللغة: تقويم المُعَوِّجِ بِالثِّقَافِ، ويُستعار للتأديب والتهذيب^(٤).
ومنها: الحذق والفهم وسرعة التعلم والظفر، يقال: ثَقِفٌ وَثَقْفٌ حَازِقٌ فَهْمٌ.. ويقال: ثَقِفَ الشَّيْءَ وهو سُرْعَةُ التَّعَلُّمِ.. وَثَقِفْتُهُ إِذَا ظَفَرْتُ بِهِ، وَرَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ: إِذَا كَانَ ضَابِطاً لِمَا يَحْوِيهِ، قَائِماً بِهِ^(٥).

(١) المُغْرِبُ في ترتيب المُعْرَبِ، ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ج ٢ - ص ١٠٢.

(٢) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، ج ٦ - ص ٢٤٩٩.

(٣) لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور، ج ١٥ - ١٢٣.

(٤) المُغْرِبُ في ترتيب المُعْرَبِ - (١ / ١١٨).

(٥) لسان العرب - (٩ / ١٩).

ويتضح من بيان أصل كلمة الثقافة؛ أنها تدور حول عدة معان:

أ- التأديب والتهديب.

ب- الحدق والفهم.

ج- سرعة التعلم والظفر.

٣- مصطلح الغزو الثقافي.

اختلفت آراء العلماء والمفكرين المعاصرين في تعريف مصطلح الغزو الثقافي فقالوا: (هو الوسائل غير العسكرية التي اتخذها أعداء الإسلام لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرّف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وأنماط وسلوك)^(١).

ومنهم من قال: (هو قيام مجتمع ما أو حضارةٍ بمحاولةٍ لفرض ثقافتها على مجتمعٍ آخر بنية الاعتداء والسيطرة والهيمنة)^(٢).

ومن هذين التعريفين يتضح أن الغزو الثقافي مصطلح يطلق على أسلوب أعداء الإسلام في القضاء على حضارة الإسلام وقيمه؛ وهو أسلوب ناعم غير عسكري؛ يهدف إلى فرض حضارة الغرب وهيمنتها على الإسلام وأهله، ومسّخ الشخصية الإسلامية.

(١) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، أحمد العيادي، ص ٣٠٠.

(٢) الثقافة الإسلامية: مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها، عزمي طه السيد، ص ١٨١.

ثانياً: مصطلح الهزيمة النفسية:

كان لزاماً علينا عند الحديث عن الغزو الثقافي؛ أن نتعرف على مصطلح الهزيمة النفسية قبل الحديث عن وسائل الغزو الثقافي وتأثيرها على نفوس المسلمين.

فالهزيمة النفسية: (احتلال جديد يعمد إلى احتلال النفوس والعقول والأفئدة بدلاً عن احتلال الأرض؛ وهذا يعني السيطرة على كل شيء حتى تكاد هذه النفوس لا ترى إلا بعينه، ولا تسمع إلا بأذنه، ولا تفكر إلا بعقله، تكره ما يكره، وتهوى ما يهوى، وتُفني حياتها في سبيل رضاه، ثم ليتها تحظى به، فربما كان نصيبها النُّقمة والازدراء)^(١).

ومعنى ذلك أن النفوس تشعر بالضعف والعجز والهوان والذل والمرارة؛ وينشأ عن ذلك ذوبانٌ في الشخصية وإخلاق إلى الكسل والمهانة، والاستسلام التام للعدو، وإعطائه العقول والأحاسيس والمشاعر يتحكم فيها كيف يشاء، ويُبث فيها من سمومه التي تفتك بالأمة فتودي بها إلى الهلاك والضياع.

فالهدف من وراء الهزيمة النفسية:

١ - أن تشعر الأمة بمرارة العجز والقهر واليأس، وتزول لديها أية بارقة أمل في نهضة حضارية ومستقبل واعد، وإذا تمكن العدو من تحقيق هذا الهدف فإن ما سواه أهون، فالأمة المهزومة نفسياً؛ ليس لها - إن لم تتدارك نفسها - إلا خيارين: إما أن تنتحر وتُفنى، أو تُلقى بنفسها في أحضان العدو، وتمكّنه من نفسها يعبث بها كيفما يشاء.

(١) مجلة البيان، المتمدن الإسلامي، لندن، ربيع الأول ١٤٢٢هـ، العدد ٦٣، ص ١١٩.

٢- أن تدين الأمة له بالتبعية والولاء التام؛ فيتحقق له ما أراد من السيطرة عليها ثقافياً وسياسياً واقتصادياً... إلخ^(١).

والنفس البشرية في حال هزيمتها؛ تشعر بالذل والضعف والهوان؛ حيث تنظر إلى المبادئ التي كانت تحملها والتي تربّت عليها؛ تنهار أمام عينيها، و سبب هذا الانهيار ليس في المبدأ ذاته؛ ولكن فيمن يحمل هذه المبادئ، فهو يجعلها شعارات لا محتوى لها، ولا يجاهد من أجلها، فإذا واجه الواقع الجديد بما يحمله من تحديات؛ سقط وسقطت معه هذه المبادئ.

(١) المرجع السابق، العدد ٦٣، ص ١١٩.

المطلب الثاني

وسائل الغزو الثقافي وبث روح الهزيمة

استخدم أعداء الإسلام أسلحة متنوعة لبث روح الهزيمة في نفوس المسلمين، فعملوا جاهدين على إخراجهم من دينهم، ومسّخ هويتهم، وإضعاف عقيدتهم، وأعدوا العدة لذلك، فأنفقوا الأموال الطائلة من أجل هذا الهدف الخبيث، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وستعرض في السطور القادمة لبعض هذه الوسائل الخبيثة وأثرها في بث روح الهزيمة عند المسلمين.

أولاً: الإعلام والدعاية:

الإعلام يلعب دوراً خطيراً في حياة الشعوب؛ فهو يستطيع أن يغير من فكرهم وعقيدتهم وعاداتهم وتقاليدهم؛ وهو من الوسائل التي استخدمها أعداء الإسلام في بث روح الهزيمة في نفوس المسلمين، فأعداء الإسلام يدركون أن الحرب الإعلامية تعتبر أخطر وأسرع في تأثيرها من الحرب العسكرية، لذا قاموا بحملة كبيرة تبث سمومهم، بقذائف من الرسائل التي تخترق النفوس والعقول وتؤثر على الشعوب؛ فتشككهم في دولتهم وفي قضيتهم، وتهدم ثقافتهم ودينهم.

ومن أسباب نجاح هذه الحملة الإعلامية الدعائية الشعواء على الإسلام والمسلمين: القابلية السلبية للفرد والمجتمع؛ حيث يتهيأ المناخ المناسب لنمو بذور الهزيمة النفسية، وتنوع الآلة الإعلامية في بث روح الهزيمة وخاصة الوسائل الحديثة كشبكة الإنترنت بما لها من أهمية وخطورة علينا، فنحن نستخدمها دون فكر يديرها، كما تحوي معلومات ومواقع تروج لثقافة الغرب ولغته؛ ف ٨٨٪ من المعروض فيها باللغة الإنكليزية، و ١٠٪ بالألمانية، و ٢٪

بالفرنسية)^(١)، ولا حظَّ للغة العربية لغة القرآن.

يضاف إلى هذا دور الإعلام الغربي في القضاء على الأخلاق والقيم، وذلك بنشر الفساد والانحلال والفاحشة والأفلام الإباحية والصور الخليعة في المجتمعات الإسلامية، مما يجرد الشباب إلى مستنقع الشهوات والفساد الأخلاقي، ولك أن تتخيل جيلاً من الشباب مشغولاً برؤية الأفلام الإباحية والغناء والرقص وشرب الخمر؛ أي يمكن لهذا الشباب أن يدافع عن دينه ووطنه وأمتة؟

إن أنظمة الأخبار والحكومات والمصالح العسكرية والتجارية الغربية؛ تتعمد التلاعب بتدفق الأخبار العالمية لصالحها؛ للإبقاء على العالم الثالث في حالة تبعية^(٢)، وهدف أعداء الإسلام من هذه الهجمة الشرسة: إدخال أبناء المسلمين في حالة من الخدر الشديد، بحيث لا يستطيعون إلا على الضربة القاضية التي ستوجه إليهم^(٣).

ثانياً: القضاء على الإسلام والتشكيك في قيمه

الإسلام هو بذاته مزعج لأعدائه وأعداء المسلمين في كل حين، فهو من القوة والمتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويُرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد، إنه حرب بذاته وبما فيه من حق أبلج، ومنهج قويم، ونظام سليم؛ لذا لا يطيقه المبطلون البغاة المفسدون من المبشرين والمستشرقين والمستعمرين ومن يسير في فلكهم من ضعاف النفوس من أبناء هذه الأمة، فتراهم يكيّدون له ويعملون جاهدين لإخراج المسلمين من إسلامهم؛ وينفقون الأموال الطائلة

(١) الإعلام والعولمة في القرن الواحد والعشرين، عواطف عبد الرحمن، ص ٨.

(٢) دليل الصحفي الثالث، هيوستن، ترجمة كمال عبد الرؤوف، ص ٦٧.

(٣) الضربات التي وجهت للانقراض على الأمة، أنور الجندي، ص ٣٠٤.

لذلك؛ ولكنها لن تُجدي ولن تفيد، وصدق الله في قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦] (١).

وقد اتخذ أعداء الإسلام صوراً شتى للقضاء عليه والتشكيك في قيمه، منها:

* القضاء على الطاقة الفكرية والروحية التي بثها في مجتمعه وأهله، القدرة على مقاومة الاحتلال وكشفه ومواجهته والمرابطة في وجهه (٢).

* إثارة الشبهات حول الإسلام؛ لإضعاف الصلة بين المسلمين ودينهم؛ من ذلك:

- الطعن في الإسلام (بالطعن في القرآن الكريم بأنه غير منزل من عند الله، بل من عند محمد ﷺ؛ استمد تعاليمه من أهل الكتاب.

- الطعن في شخص النبي ﷺ وفي سنته، متذرعين بما دخل فيها من وضع ودس، متجاهلين جهود علماء الحديث في تنقية السنن من الشوائب، ومن خلال الطعن في الدين الإسلامي بأنه دين ملفق من الديانتين اليهودية والنصرانية) (٣).

- ادعاء أن عقيدة الإيمان بالغيب والقدر؛ تدعو إلى الاتكالية؛ أي الثقاقل والتواكل والكسل والتعلق بأهداب الغيب والعيش في سباحات الخيال البعيد عن الواقع والحياة، والهدف من ذلك اعتبار الإسلام ديناً

(١) الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، عبد الرحمن عميرة، ص ٧-٨.

(٢) الاستعمار والإسلام، أنور الجندي، ص ١٧.

(٣) المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣١٢.

خرافياً خيالياً لا يتعاطى مع الحقائق العلمية والمعرفية من منطلق علمي منطقي^(١).

- التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي، ذلك التشريع الهائل الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولها؛ ومن خلال التشكيك في قيمة التراث الحضاري الإسلامي، زاعمين أن الحضارة الإسلامية منقولة عن الحضارة اليونانية والرومانية، وأن العرب ليس لديهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري^(٢).

ثالثاً: تدمير أخلاق المسلمين وقيمهم

كانت خطة أعداء المسلمين في تدمير أخلاقهم وقيمهم: إدامة السيطرة على مقدرات المسلمين؛ بإذلالهم وتدمير كرامتهم وخصوصيتهم ومنهجهم، وهدم حصانتهم الخلقية التي هي مصدر قوتهم، وتدمير مناعتهم الروحية والنفسية لهدم الأسرة وإشاعة الفحشاء والفساد، والتقريب بين القيم الغربية والشعوب الإسلامية؛ بدعوى تطوير الإسلام لصهر المسلمين في بوتقة الغرب؛ وجعلهم أدوات في خدمته فيستنزف ثرواتهم.

يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد ١٩٣٥ م: (إن مهمة التبشير التي ندبّتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية؛ ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، إن مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها،

(١) الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، ص ٢٩٥.

(٢) المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية، ص ٣١٢.

وتكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له، ألا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تُدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أَراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، يحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلّم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهووات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات.. إنه وجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون: إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه^(١).

رابعاً: تذويب المسلمين في الكيان الأممي والعالمي

من أساليب الغزو الثقافي وبث روح الهزيمة في المجتمع المسلم: تذويب المسلمين في الكيان الأممي العالمي، عن طريق ثلاث عبارات خدعت الكثيرين، وأصبحت تجري على ألسنتهم في سهولة ويسر دون تبين أبعادها وأهدافها؛ وهي:

الانفتاح الثقافي؛ التلقيح الثقافي، إثراء الفكر، وكل كلمة من هذه الكلمات بحاجة إلى توضيح أخطارها وأعماقها التي تغيب عن الغافلين المخدوعين، فالغزو الثقافي لبلاد المسلمين يستهدف إزالة الهوية الإسلامية العربية إزالة كاملة، وصهر هذه الأجيال في بوتقة الفكر الأممي تحت اسم الحضارة العالمية والثقافة العالمية^(٢).

(١) الغارة على العالم الإسلامي، أل شاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب، ص ٤٥.

(٢) كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية؟ أنور الجندي، ص ٩.

خامساً: التغريب

من أخطر وسائل الغزو الثقافي للمسلمين: حركة التغريب.

والتغريب كما قال دعائه: هو خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم محاكمة الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها؛ بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسويدها على الحضارة الإسلامية، وكذلك حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الاستسلام والاحتواء والتحرك من داخل الفكر الوافد، وإخراج المسلمين من دائرة قيمهم بما يخلق شعوراً بالنقص في نفوس المسلمين.

إن التغريب يهدف إلى صناعة أجيال من المسلمين والعرب تحتقر مقومات الحياة الإسلامية والشرقية وإبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه.

كما يهدف إلى تدمير البطولات العربية والإسلامية والتشكيك في عظمتها، وفي مقدمتها الرسول الكريم ﷺ وصحابته الكرام وأبطال الإسلام ومفكروه.

وأخطر محاولات التغريب: (وضع البديل) في مواجهة الأصيل، والعمل على تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع تحوطها هالة من الدعاية، لخنق كل فكرة أصيلة، وتحويل الرأي العام عنها بأسلوب من الإغراء والتزييف، تحت مسمى البحث العلمي والعبارات البراقة الخادعة^(١).

(١) كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية؟ أنور الجندي، ص ٣٩-٤٠، بتصرف.

المطلب الثالث

علاج الهزيمة النفسية

بعد أن تعرضنا لبعض وسائل الغزو الثقافي لبث روح الهزيمة في نفوس المسلمين؛ كان لا بد لنا أن نتصدى لهذا الفكر الخبيث الذي سيطر على الأمة الإسلامية في شتى مجالاتها، فجعلها مسخاً؛ لا تفكر في مستقبلها ولا في ماضيها التليد؛ لذلك لا بد لنا من الانتفاضة لعلاج هذا المرض الخطير وتحويل هذه الهزيمة إلى عزة وثقة وقوة وتخطيط وتنظيم لمستقبل أفضل؛ حتى يأذن الله لهذه الأمة بالنصر والتمكين.

وهذه بعض وسائل العلاج:

أولاً: تنمية الجانب الإيماني والأخلاقي للمسلمين.

فلا بد من تعبئة الأمة تعبئة إيمانية روحية خلقية؛ لتكون على مستوى التصدي لفكر الهزيمة، وهذه التعبئة تقتضي تغييراً جوهرياً في حياة الأمة لإصلاح ما اعوجج من أفكارها وعقائدها لإرجاعها إلى ربها ودينها، ولردّها إلى رشدها وإيمانها، وإعادتها إلى نفسها بعد أن فقدتها ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، ولا بد من تنمية روح الإيمان وأخلاقه في الأمة التي يراد إعدادها للجهاد، فالإيمان هو السلاح الأول في معركتها، وأمة بلا إيمان ستنتهار لأول ضربة، وتخرُّ صريعة لأول صدمة، والإيمان هو الذي يقاوم اليأس في قلوبها، والخلل في صفوفها، والوهن في نفسها، وأول الوهن: حب الدنيا وكرهية الموت، والأمة التي تريد أن تحيا؛ لا بد من أن تحرص على الموت حتى تستحق العيش، فقد كان خالد بن الوليد رضي الله عنه؛ يبعث بكتبه إلى قادة الفرس

والروم ليدعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال^(١)، ثم يختم كُتبه بقوله: «وإلا جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»^(٢).

على قادة العالم الإسلامي وجمعياته وهيئاته الدينية والدول الإسلامية؛ غرس الإيمان في قلوب المسلمين، وإشعال العاطفة الدينية، ونشر الدعوة إلى الله ورسوله، والإيمان بالآخرة على منهاج الدعوة الإسلامية الأولى، لا تدخر في ذلك وسعاً، وتستخدم له جميع الوسائل القديمة والحديثة للنشر والتعليم، كتجوال الدعاة في القرى والمدن، وتنظيم الخطب والدروس، ونشر الكتب والمقالات، ومدارسة كتب السيرة والمغازي والفتوح الإسلامية، وأخبار الصحابة وأبطال الإسلام وشهدهاء، ومذاكرة أبواب الجهاد وفضائل الشهداء، وتستخدم لذلك الإذاعة والصحافة وكتب الأدب والوسائل العصرية.

والقرآن وسيرة النبي ﷺ؛ قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان، وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي، وتجعلا من أمة مستسلمة منخذلة ناعسة؛ أمة فتيّة، ملتهبة حماساً وغيره على دينها، حانقة على الجاهلية، ساخطة على النظم الجائرة.

إن علة العالم الإسلامي: الرضا والاطمئنان بالحياة الدنيا، والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة في الحياة، فلا يُقلقه فساد، ولا يُزعجه انحراف، ولا يهيجه منكر، ولا يهّمه سوى الطعام واللباس، ولكن بالقرآن والسيرة النبوية - إن وجدا إلى القلب سيلاً - يحدث صراع بين الإيمان والنفاق، واليقين والشك، المنافع العاجلة والدار الآخرة، وراحة الجسم ونعيم القلب، وحياة البطالة

(١) درس النكبة الثانية، د. يوسف القرضاوي، ص ٧٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ج ٢، ص ١٩٤.

وموت الشهادة... وحينئذ يقوم في كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، وكل أسرة إسلامية في كل بلد إسلامي: ﴿فَتِيَّةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَّهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

هنالك تتجدد ذكرى بلال، وعمّار، وخَبَّاب، وحبيب، وخُبيب، ومصعب بن عمير، وعثمان بن مظعون، وأنس بن النضر رضي الله عنهم، فتفوح رائحة الجنة، وتَهَبُ نفحات القرن الأول، ويولد للإسلام عالم جديد لا يشبه العالم القديم في شيء ^(١).

ولا بد من تربية الأمة على علوِّ الهمة وسموِّ الطموح ورفعة الهدف؛ فهذه التربية تجعل الإنسان ينسلخ من أغلال العجز والكسل لينطلق في الحياة فاعلاً إيجابياً، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على علو الهمة وتألق الطموح، لنيل أعلى مراتب الجنة، يقول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» ^(٢).

بل إن سيرته العملية ونشأته تؤكِّدان ذلك؛ فلقد وُلدت همته عليه الصلاة والسلام معه يوم وُلد، فمنذ طفولته ونفسه مهاجرة إلى معالي الأمور ومكارم الخلق، لا يرضى بالدون بل بالطموح السبَّاق المقدم المتفرد المبرز المحظوظ، وكانت فيه قبل النبوة من سمات الريادة والزعامة والقيادة؛ ما جعل قريشاً تسميه: الصادق الأمين، ويرضون حكمه ويعودون إليه في أمورهم، فلمّا

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ أبو الحسن الندوي، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ح (٢٥٩٤).

من الله عليه ببعثه؛ تاقت نفسه إلى الوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة، فسأل الله إياها، وعلمنا أن نسألها له من ربه، وحازها بالكمال البشري المطلق والفضيلة الإنسانية، ومن علو همته، ورفضه للدنيا وعدم الوقوف مع مطالبها الزهيدة لولاياتها ومناصبها وقصورها ودورها^(١).

ومن الأخلاق التي ينبغي تنميتها لمواجهة الهزيمة النفسية: خلق العزم، والعزم: (اتجاه نفسي جازم ذو نسبة عالية من القدرة على التصدي للعقبات والصعوبات ومقارعتها)^(٢)، ومن أراد أن يتصف بالعزم؛ لا بد له من أن يحصل على التقوى التي هي أقوى من أي سلاح: (فقوة الجسد وصلاح إنجازه لمهامه؛ إنما هو بصلاح النفس..)^(٣)، ولقد كشف الله تعالى في قرآنه؛ حقيقة المرتابين الذين ران على قلوبهم الشك والنفاق، مما جعل أبصارهم تشخص من فرط الهلع والجزع؛ ذلك لأنهم بعيدون كل البعد عن العزم وتحقيق المراد، فقال سبحانه وتعالى عن هؤلاء: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغِشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ۗ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوَّصَدُفُوا ۗ اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ﴾ [محمد: ٢٠-٢١]، وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ۗ﴾: أي جد الحال وحضر القتال^(٤).

(١) كأنك تراه، لبنان، عائض القرني، ص ٥٨.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ج ١، ص ١١٣.

(٣) التعبئة المعنوية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير لعلام عبد القادر محمود، جامعة النجاح، نابلس فلسطين، ٢٠٠٧م، ص ٥٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٤، ص ١٧٨.

إن العزم على تحقيق أمرٍ من الأمور وعقد القلب على إمضائه؛ يعتبر من المبادئ الأساس وعاملاً مهماً من عوامل الانتصار النفسية، وقد حث الإسلام على هذه الظاهرة الخلقية التي تنبع من علو الهمة ورُجحان العقل، وحبب إلى المسلمين الكياسة وحذرهم من العجز.

ثانياً: إحياء روح الجهاد في المجتمع المسلم

من الوسائل المهمة في القضاء على فكر الهزيمة النفسية عند المسلمين؛ إحياء روح الجهاد في نفوسهم؛ فهو ذروة سنام الإسلام، والسييل الذي حث عليه القرآن الكريم، وقام به النبي ﷺ خير قيام، ومن مظاهر قوة الدين وعزته.

وهو الطريق الذي منه تتنسم الأمة الإسلامية مكانتها وعزها، وتستعيد هبتها، وكل تربية قامت بدون روح الجهاد، وبدون ربط حاضر الأمة بماضيها، فهي تربية ضعيفة مهما كانت جهود أصحابها ونواياهم، وحين أهمل أو أحرُ الأمة الإسلامية سبب عزهم، وأساس منعّتهم؛ أذلهم الله وسلط عليهم الأعداء، وحين نمنح الدين نفوسنا ونعود إلى ديننا، ونبحث عن أسباب عزنا، ونعمل به ونصدع، فإن النصر حليفنا والعز شعارنا.

إن مفهوم الجهاد أوسع وأشمل من مفهوم القتال، فإذا كان قتال الغاصبين أو المحتلين لأي جزء من أرض الإسلام فريضة محكمة، ومقاومة الاستعمار الكافر والكافر المستعمر واجباً دينياً مقدساً؛ فإن جهاد المنافقين والمبتدعين والظلمة والفجرة؛ واجب لا يقل قداسة عن ذلك، والقرآن الكريم يقول:

﴿يَأْتِيهَا النَّتِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ الْمَصِيرُ﴾ [التحریم: ٩].

والرسول ﷺ سئل عن أفضل الجهاد فقال: «كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(١).

وقد تحدث النبي ﷺ عن الأمراء الظلمة الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، وبين واجب الأمة المسلمة حين تبتلى بحكمهم وتسلطهم فقال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي؛ إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِبِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ»^(٢).

يشير إلى أن الجهاد بالقلب - جهاد الكراهية والغضب والنفرة والمقاطعة - أضعف مراتب الإيمان؛ وهو لمن عجز عن جهاد اللسان، كما أن جهاد اللسان لمن عجز عن جهاد اليد، فالجهاد إذن ليس للكفار فقط، ولا بالسيف بحسب، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩].

والمنافقون لا يجاهدون بالسيف، لأنهم محسوبون ظاهراً في عداد المسلمين، وإنما يجاهدون بالبيان والوعظ وإقامة الحجة، والقول البليغ المؤثر في النفس، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب أفضل الجهاد: كلمة عدل عند سلطان جائر، برقم ٢١٧٤، ص ٥٥٢، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، رقم ٥٠، ص ٢٦.

وأُصِرَّحَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿فَلَا تَطِيعُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، أي جَاهِدْهُمْ بِالْقُرْآنِ، وَهَذَا الْأَمْرُ بِالْجِهَادِ فِي سُورَةِ الْفِرْقَانِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ نَزَلَتْ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْقِتَالِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُؤْمَرَ بِهِ، فَالْجِهَادُ الْكَبِيرُ هُوَ جِهَادُ الدَّعْوَةِ وَالثَّبَاتِ عَلَى تَبْلِيغِهَا، وَالصَّبْرُ عَلَى مَرَاتِمِهَا وَتَحَمُّلِ مَشَاقِقِهَا وَطَوْلِ طَرِيقِهَا، وَهُوَ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ أَوَائِلُ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

وَالرَّسُولُ ﷺ يَبِينُ أَدْوَاتِ الْجِهَادِ وَأَلْوَانَهُ فِي شَأْنِ الْكُفْرَانِ فَيَقُولُ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّتِّكُمْ»^(١).

وَهُنَاكَ جِهَادُ النَّفْسِ لِتَتَعَلَّمَ الْإِسْلَامَ وَتَعْمَلَ بِهِ، وَتَدْعُوَ إِلَيْهِ وَتَثْبُتَ عَلَى طَرِيقِهِ حَتَّى تَفُوزَ بِإِحْدَى الْحُسَيْنِيِّينَ.

وَهُنَاكَ جِهَادُ الشَّيْطَانِ الَّذِي يُضِلُّ الْإِنْسَانَ بِالشَّبَهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَمَقَاوِمَتِهِ بِسِلَاحِ الْيَقِينِ الَّذِي يَطْرُدُ الشَّبَهَاتِ، وَالصَّبْرِ الَّذِي يَهْزِمُ الشَّهَوَاتِ، وَبِهَذَا يَنْتَصِرُ عَلَيْهِ وَيَرْتَقِي إِلَى مَقَامِ الصَّالِحِينَ، عَلَى جَنَاحِي الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وَمَنْ وَاجِبَ الْعِلْمَاءِ الْوُقُوفُ فِي وَجْهِ الْبَاطِلِ، وَزَحْفُ الضَّلَالِ، وَعَلَيْهِمْ بَثُّ رُوحِ الْجِهَادِ فِي الْأُمَّةِ وَقِيَادَتُهَا فِي رَفْعِ هَذِهِ الرَّايَةِ وَالتَّسَابُقُ فِي ذَلِكَ، فَهَمُّ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَحَمَلَةُ الشَّرْعِ، وَمَنْ أَعْلَمَ النَّاسَ بِحُكْمِ الْجِهَادِ وَفَضْلِهِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ لِلْمُجَاهِدِينَ، فَهَذَا وَقْتُ التَّضَحِّيَّاتِ، وَنُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَجِهَادِ الْكَافِرِينَ وَالصَّالِبِيِّينَ، وَهَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْمَوْصِلُ إِلَى الشَّهَادَةِ وَمَرْضَاةِ اللَّهِ وَجَتَّتِهِ.

(١) سنن أبي داود، باب كراهية ترك الغزو، برقم (٢٥٠٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي

ثالثاً: التحرر من التبعية

التقليد والتبعية للغرب خطر كبير على النفوس المسلمة؛ يظهر في كون المقلد يظن أنه مهتدٍ وهو ضال، ويحسب أنه على حق وهو مرتكس في الباطل، ويرى نفسه متطوراً متحضراً مع أنه دخل جحر الضب الذي حذر منه النبي ﷺ في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوْا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»^(١).

«والمغلوب مولعٌ أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزِيَّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه، في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم»^(٢).

لابد للأمة الإسلامية من التخلص من تبعية الغرب في الأفكار والتقاليد والنفوذ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي؛ وأن يحرروا إرادتهم بتطبيق شريعة الله وإقامة مجتمعهم الرباني؛ ليكونوا مؤهلين لتبليغ رسالة الإسلام للعالمين، وحتى تعلم البشرية أنه لا سبيل لعلاج أزماتها التي تعيشها اليوم؛ إلا بأن تلتمس طريق الله وحده.

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، برقم (٦٨٨٨) - وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، برقم (٢٦٦٩).

(٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ص ١٤٩.

ولا شيء يحقق أمن المسلم وسعادته وحقوقه؛ إلا تطبيق شريعة الله تعالى، فإن لم يفعل المسلمون ذلك فهم آثمون مسؤولون بين يدي الله تبارك وتعالى على تقصيرهم في تنفيذ ذلك، فشرعية الله وحدها هي القادرة على تحقيق العدل الاجتماعي والتكامل الاجتماعي وقيام الأمن الدولي في الإسلام.

فالمسلمون من غير تطبيق الشريعة الإسلامية؛ مضطربون في مجال الاقتصاد ومجال الاجتماع ومجال القانون والمجالات الأخرى^(١).

فإذا أراد العالم الإسلامي أن يطمح إلى القيادة ويستأنف حياته ويتحرر من رق غيره، فلا بد إذن من الاستقلال التعليمي بل الزعامة العلمية، وما هي بالأمر الهين، إنها تحتاج إلى تفكير عميق، وخبرة بعلوم العصر، مع التشبع بروح الإسلام والإيمان الراسخ بأصوله وتعاليمه، وهي مهمة الحكومات الإسلامية، فتنظّم لذلك جمعيات، وتختار لها أساتذة بارعين في كل فن، يضعون منهاجاً تعليمياً يجمع بين محكمات الكتاب والسنة وحقائق الدين التي لا تتبدل، وبين العلوم العصرية النافعة والتجربة والاختبار، ويدونون العلوم العصرية للشباب الإسلامي على أساس الإسلام وبروحه، بكل ما يحتاج إليه النشء لينظموا به حياتهم ويحافظوا به على كيانهم، ويستغنوا به عن الغرب ويستعدوا للحرب، ويستخرجوا به كنوز أرضهم وينتفعوا بخيرات بلادهم، وينظموا مالية البلاد الإسلامية، ويديروا حكوماتها على تعاليم الإسلام بحيث يظهر فضل النظام الإسلامي في إدارة البلاد وتنظيم الشؤون المالية على النظم الأوروبية، وتنحل

(١) كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم؟ أنور الجندي، ص ١٥ وما بعدها، بتصرف.

مشاكل اقتصادية عجزت أوروبا عن حلها^(١).

إن العالم الإسلامي لا يستطيع أن يحارب الغرب - إذا احتاج إلى ذلك ودعت إليه الظروف - وهو مدين له مالياً، عيال عليه في لباسه وبضائعه، لا يجد قلماً يوقع به ميثاقاً مع الغرب إلا الرصاص الذي أفرغ في الغرب، وعاث على الأمة أن يجري ماء الحياة في عروقها وشرابها إلى أجسام غيرها، وأن يدرب جيوشها وكلاء الغرب وضباطه، ويدير بعض مصالح حكومتها رجاله، فلا بد للعالم الإسلامي من أن يقوم هو نفسه بتنظيم التجارة والمالية، والتوريد والتصدير، والصناعة الوطنية، وتدريب الجيش، وصنع الآلات والماكينات، وتربية الرجال الذين يضطلعون بجميع مهمات الدولة ووظائف الحكومة في خبرة ومهارة فنية، وأمانة ونصيحة^(٢).

رابعاً: تأصيل القيم الأساس بعد كشفها

الأمة الإسلامية في حاجة إلى تأصيل القيم الأساس، ولكن بعد كشف خطورتها على النفوس؛ ومن هذه القيم:

١ - كشف الشخصيات التي لمعت بالباطل وأتاح لها الغرب فرصة الظهور والريادة، أمثال: جورجى زيدان، سلامة موسى، طه حسين، قاسم أمين، لويس عوض، وغيرهم.

٢ - رد الاعتبار للأعلام الصادقين: أمثال: عبد العزيز جاويز، فريد وجدي، السلطان عبد الحميد، حسن البنا، عبد الحميد بن باديس،

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٣.

مالك بن نبي، وغيرهم.

٣- كشف أهداف الاستشراق والتبشير والغزو الفكري؛ حيث هدف إلى تسميم العقل الإسلامي بالفلسفات المادية والمذاهب والإيديولوجيات الوافدة، وغرس قيم دخيلة على نظام القيم السائدة في المجتمع وإعلائها لترتفع إلى مستوى القيم، وإضعاف القيم الأساس وإحالتها إلى قيم فرعية.

٤- كشف فساد المنهج الفلسفي المرتبط بالكلام والاعتزال والتصوف الفلسفي، والعودة إلى منهج القرآن الكريم.

٥- كشف زيف الكتب القديمة لتعارضها مع العلوم الحديثة على النحو الذي فعله الدكتور موريس بوكاي وغيره.

٦- كشف فساد التفسير المادي للتاريخ ومنهج العلوم الاجتماعية وعلوم النفس والأخلاق.

٧- ضرورة تحرير الإسلام والفكر الإسلامي من فلسفات سارتر وفرويد وماركس، وكشف أخطاء قانون نابوليون ومنهج دانلوب ودعاوى زويمر وسموم العلمانية.

وبالجملة فكل المناهج التي رسمتها الماسونية وفرصتها على العلوم والآداب؛ فهذه كلها مصدر الأزمة التي يمر بها الفكر الإسلامي، والتي لن يتحرر منها إلا إذا عاد إلى الأصالة والمنابع، وتخلص من هذه التبعية الخطيرة^(١).

(١) سقوط الأيديولوجيات - أنور الجندي - مرجع سابق - ص ١٠٢-١٠٣

٨- كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم:

بين الله سبحانه أن تثبيط العزائم هو هدف المنافقين لبث روح الانهزام في قلوب المسلمين، وأن هذا ما يُفرح قلوبهم ويثلج صدورهم، ومن أمثلته: تثبيط المسلمين عن الخروج مع الرسول ﷺ إلى تبوك، قال الله تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجَ مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نُقَاتِلَ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ [التوبة: ٨١-٨٣]، وضرورة تصفية الصف وتطهير الجيش من هؤلاء المخذلين.

٩- كشف نوايا العدو وأهدافه:

وذلك من الأمور المهمة للتحصن ضد الحرب النفسية، وقد عني القرآن الكريم بكشف نوايا العدو، كمحاولاته التفرقة بين المسلمين، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

ثم أرشد الله المسلمين إلى طريق مواجهة هذه المحاولات فقال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وكذا محاولة زعزعة ثقة المسلمين في النصر؛ حيث حاول المنافقون زعزعة ثقة المسلمين في النصر والفتح في غزوة الخندق، فبثوا فيهم روح التخويف والرعب، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

وَرَسُولُهُ إِلَّا عُرُورًا ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَعِزُّونَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٤﴾
[الأحزاب: ١٢-١٣].

خامساً: وضع منهج متكامل للتربية الإسلامية

الشمول من الخصائص التي تميز بها الإسلام عن كل الأديان والفلسفات والمذاهب، فهو يستوعب الزمن كله والحياة وكيان الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

يقول العلامة ابن عاشور تعليقا على هذه الآية:

«فَكَانَ الْمَقْصِدُ الْأَعْلَىٰ مِنْهُ - الْقُرْآن - صَلَاحَ الْأَحْوَالِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْجَمَاعِيَّةِ وَالْعُمَرَانِيَّةِ، فَالصَّلَاحُ الْفَرْدِيُّ يَعْتَمِدُ تَهْدِيْبَ النَّفْسِ وَتَرْكِتَهَا، وَرَأْسُ الْأَمْرِ فِيهِ صَلَاحُ الْإِعْتِقَادِ لِأَنَّ الْإِعْتِقَادَ مَصْدَرُ الْأَدَابِ وَالتَّفْكِيرِ، ثُمَّ صَلَاحُ السَّرِيرَةِ الْخَاصَّةِ، وَهِيَ الْعِبَادَاتُ الظَّاهِرَةُ كَالصَّلَاةِ، وَالبَاطِنَةُ كَالتَّخَلُّقِ بِتَرْكِ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالكِبْرِ، وَأَمَّا الصَّلَاحُ الْجَمَاعِيُّ فَيَحْضُلُ أَوَّلًا مِنْ الصَّلَاحِ الْفَرْدِيِّ؛ إِذِ الْأَفْرَادُ أَجْزَاءُ الْمُجْتَمَعِ، وَلَا يَصْلُحُ الْكُلُّ إِلَّا بِصَلَاحِ أَجْزَائِهِ، وَمِنْ شَيْءٍ زَائِدٍ عَلَىٰ ذَلِكَ وَهُوَ ضَبْطُ تَصَرُّفِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ عَلَىٰ وَجْهِ يَعِصْمُهُمْ مِنْ مُزَا حَمَةِ الشَّهَوَاتِ وَمُؤَاثِبَةِ الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْمُعَامَلَاتِ، وَيَعْبَرُ عَنْهُ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ: بِالسِّيَاسَةِ الْمَدِينِيَّةِ، وَأَمَّا الصَّلَاحُ الْعُمَرَانِيُّ فَهُوَ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ، إِذْ هُوَ حِفْظُ نِظَامِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَضَبْطُ تَصَرُّفِ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَقَالِيمِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ عَلَىٰ وَجْهِ يَحْفَظُ مَصَالِحَ الْجَمِيعِ، وَرَعِي الْمَصَالِحَ الْكُلِّيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، وَحِفْظُ الْمَصْلَحَةِ الْجَامِعَةِ عِنْدَ مُعَارَضَةِ الْمَصْلَحَةِ الْقَاصِرَةِ لَهَا،

وَيُسَمَّى هَذَا بِعِلْمِ الْعُمَرَانِ وَعِلْمِ الْإِجْتِمَاعِ»^(١).

وهذا المنهج المتكامل للتربية الإسلامية يهدف إلى بناء الفرد والأسرة والمجتمع؛ حيث يعمل على بناء الإنسان القادر على أداء دوره في المجتمع من خلال مسؤوليته التي رسمها له الله تبارك وتعالى بوصفه مستخلفاً في الأرض يقوم على تعميمها وإقامة منهج الله الذي يتضمن قيم الحلال والصدق والوفاء والإخاء البشري.

* هذا المنهج لا بد أن يتميز بالتكامل؛ فالتربية الإسلامية تشمل جميع جوانب الشخصية الإسلامية؛ حيث تتناول القوى الثلاث: العقل، والوجدان، والجسم، فتنشئ السلوك المستقيم والعاطفة النقية والاتجاهات الأخلاقية الكريمة وتوقظ المشاعر السامية، كما تتوزع التربية الإسلامية على جميع جوانب الحياة: المدرس، المسجد، المنزل، والشارع.

* أما منهجه فهو مستمد أساساً من القرآن الكريم والسنة النبوية، وقدوتها مستمدة من أعمال الرسول ﷺ ومواقفه.

* كما ينبغي أن يركز هذا المنهج في بناء الفرد على عدة ثوابت، منها:

١- الاهتمام بتحفيظ القرآن والسنة النبوية.

٢- العناية باللغة العربية طوال مراحل الدراسة.

٣- إعداد المعلمين المشرفين على الطلاب عقيدة وأخلاقاً.

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج ١، ص ٣٨.

٤- استكمال التربية في النواحي الجسدية والعقلية والثقافية، والاهتمام بالتربية المهنية والعسكرية، والتركيز على روح الجهاد الإسلامي.

٥- ضرورة دعم جانب العاطفة والإيمان والحب؛ إيماناً بأن قوة العاطفة هي التي أحدثت روائع البطولات الإسلامية التي لا نظير لها في تاريخ الأمم^(١).

* مراعاة ضرورة تنقية وسائل الإعلام من التجاوزات الخطيرة التي قد تصور الانحراف الخُلقي وكأنه أمر مشروع، وتقديم برامج لحماية أخلاق الأبناء من الأخطاء الشرعية والأخلاقية والاجتماعية.

* القضاء على المتناقضات القائمة بين المناهج الدراسية ووسائل الإعلام، وكل ما يتصل بالنظريات الغربية المتعارضة مع مفاهيم الإسلام.

* وهذا المنهج لا بد أن يكون متكاملًا يعمل على بناء الإنسان من الجوانب التالية:

أولاً: الجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل.

ثانياً: الجمع بين الروح والجسم والعقل.

ثالثاً: الجمع بين الغايات الوطنية والغايات الإنسانية.

رابعاً: الجمع بين تربية الفرد وتربية المجتمع.

خامساً: الجمع بين التربية الدينية والخُلقية والعقلية.

(١) سقوط الإيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ، أنور الجندي، كتاب شهري تُصدره رابطة العالم الإسلامي، - السنة ١٢، رجب ١٤١٤هـ - العدد ١٣٩ - ص ١٣٧ وما بعدها، بتصرف.

ويقوم هذا المنهج على التوازن والمواءمة، فلا تطغى منه ناحيةٌ على أخرى، ويكون به الفرد فردياً واجتماعياً في آن واحد؛ فلا تطغى فرديته على جماعيته، فيتكامل استقلاله الذاتي وتفتُّحه الروحي والعقلي معاً، وينتقل من الأنانية إلى الغيرية، ومن الاهتمام الشخصي إلى التضحية للجماعة، إنه إعداد الفرد لذاته ولمجاوزه ذاته في نفس الوقت، وبذلك ينتقل من أهوائه إلى الحق، ومن الحيوانية إلى الإنسانية.. فيكون قابلاً للارتفاع فوق المطامع والشهوات، متجهاً إلى الاستعلاء على ما هو حرام وشر وإثم..^(١).

(١) المرجع السابق، ص ١٤٤ وما بعدها بتصرف.

الخاتمة

خرجت هذه الدراسة بنتائج وتوصيات، نذكر أهمها:

أولاً: نتائج البحث:

- ١- الغزو الثقافي أشد خطراً من الغزو العسكري؛ لأنه يهدف إلى تدمير العقول والقلوب.
- ٢- تعد الهزيمة النفسية ورماً خبيثاً منتشر في الأمة؛ يؤدي بها إلى الهلاك والضياع.
- ٣- يعد الإعلام والدعاية من أخطر الأساليب لنشر الهزيمة النفسية عند المسلمين.
- ٤- من أهداف الغزو الثقافي: التقريب بين القيم الغربية والشعوب الإسلامية؛ لصهر المسلمين في بوتقة الغرب ومسح شخصيتهم.
- ٥- من وسائل علاج الهزيمة النفسية: تنمية الجانب الروحي والأخلاقي عند المسلمين.
- ٦- تطبيق الشريعة الإسلامية يحقق أمن المسلم وسعادته، ويقضي على الهزيمة النفسية في المجتمع.

ثانياً: توصيات البحث:

- ١- ضرورة وجود آلة إعلامية كبيرة قادرة على توجيه المجتمع المسلم نحو أصوله وعاداته وتقاليده المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح.
- ٢- ضرورة وجود منهج متكامل للتربية الإسلامية يهدف إلى بناء الفرد والأسرة والمجتمع، حيث يعمل على بناء الإنسان القادر على أداء دوره في المجتمع.
- ٣- ضرورة وضع خطة مستقبلية للارتقاء بالموهب العلمية وتشجيع البحث العلمي، والاعتماد على الطاقات البشرية المنتجة.
- ٤- ضرورة وجود مراكز كبيرة عالمية للتعريف بالإسلام بجميع اللغات، وردّ الشبهات التي تثار حوله.
- ٥- ضرورة التنسيق بين البلاد الإسلامية في شتى المجالات؛ وتكوين اتحاد للبلاد الإسلامية كالاتحاد الأوروبي وغيره، وذلك لخدمة القضايا الإسلامية.

فهرست المراجع والمصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٥- ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٣- الاستعمار والإسلام، أنور الجندي، دار الأنصار، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٤- الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، عبد الرحمن عميرة- دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
- ٥- الإعلام والعولمة في القرن الواحد والعشرين، عواطف عبد الرحمن، جامعة عجمان، الإمارات، ٢٠٠٠م.
- ٦- الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط ١، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٧- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١، ١٤٠٧هـ.
- ٨- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس- ١٩٨٤هـ
- ٩- التعبئة المعنوية في القرآن الكريم- رسالة ماجستير لعلام عبد القادر محمود، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٧م.
- ١٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م

- ١١- الثقافة الإسلامية: مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها: عزمي طه السيد، دار المناهج بالأردن، ط ٤- ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- ١٢- جريدة الجيل المصرية، الثلاثاء ٢٤ من رجب / أكتوبر ٢٠٠٢م، العدد ٢١.
- ١٣- درس النكبة الثانية، د. يوسف القرضاوي، طبعة ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ١٤- دليل الصحفي الثالث، هيوستن، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية، بيروت، ١٩٨٨م
- ١٥- سقوط الأيدلوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ؟ أنور الجندي، كتاب شهري تصدره رابطة العالم الإسلامي، السنة ١٢، رجب ١٤١٤هـ- العدد ١٣٩.
- ١٦- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ١٧- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م
- ١٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، مكتبة الإيمان، المنصورة، بدون تاريخ.

- ٢٠- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار ابن الهيثم، القاهرة،
١٤٢٠هـ / ٢٠٠١م
- ٢١- الضربات التي وُجّهت للانقضاض على الأمة الإسلامية، دار القلم،
دمشق، أنور الجندي - ط ١ - ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- ٢٢- الغارة على العالم الإسلامي - أل. شاتليه - لخصها ونقلها إلى العربية:
مساعدة اليافي ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، جدة،
ط ٣ - ١٣٨٧هـ
- ٢٣- كأنك تراه، عائض القرني، دار ابن حزم، لبنان، ٢٠٠٢م.
- ٢٤- كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم؟ أنور
الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط ١، دار صادر، بيروت، بدون
تاريخ.
- ٢٦- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ أبو الحسن الندوي، مكتبة
الإيمان، المنصورة، بدون تاريخ.
- ٢٧- مجلة البيان، المتمدن الإسلامي، لندن، ربيع الأول ١٤٢٢هـ، العدد ٦٣.
- ٢٨- المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، أحمد العيادي، دار الكتاب
الجامعي، العين، ط ٢ - ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
- ٢٩- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر،
بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.